وهذا تركيب غريب النسج بديعه . والمألوف في أداء مثل هذا المعنى أن يقال : لرهبتهم منكم في صدورهم أشد من رهبتهم من ا فحول عن هذا النسج إلى النسج الذي حبك عليه في الآية ليتأتى الابتداء بضمير المسلمين اهتماما به وليكون متعلق الرهبة ذوات المسلمين لتوقع بطشهم وليأتي التمييز المحول عن الفاعل لما فيه من خصوصية الإجمال مع التفصيل كما تقرر في خصوصية قوله تعالى (واشتعل الرأس شيبا) دون : واشتعل شيب رأسي . وليتأتى حذف المضاف في تركيب (من ا) إذ التقدير : من رهبة ا لأن حذفه لا يحسن إلا إذا كان موقعه متصلا بلفظ (رهبة) إذ لا يحسن أن يقال : لرهبتهم أشد من ا . وانظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية ا أو أشد خشية) في سورة النساء .

فاليهود والمنافقون من شأنهم أن يخشوا ا . أما اليهود فلأنهم أهل دين فهم يخافون ا ويحذرون عقاب الدنيا وعقاب الآخرة . وأما المنافقون فهم مشركون وهم يعترفون بأن ا تعالى هو الإله الأعظم وأنه أولى الموجودات بأن يخشى لأنه رب الجميع وهم لا يثبتون البعث والجزاء فخشيتهم ا قاصرة على خشية عذاب الدنيا من خسف وقحط واستئصال ونحو ذلك وليس وراء ذلك خشية . وهذا بشارة للنبي A والمسلمين بأن ا أوقع الرعب منهم في نفوس عدوهم كما قال النبي A " نصرت بالرعب مسيرة شهر " .

ووجه وصف الرهبة بأنها في صدورهم الإشارة إلى أنها رهبة جد خفية أي أنهم يتظاهرون بالاستعداد لحرب المسلمين ويتطاولون بالشجاعة ليرهبهم المسلمون وما هم بتلك المثابة فأطلع ا رسوله A على دخيلتهم فليس قوله (في صدورهم) وصفا كاشفا .

وإذ قد حصلت البشارة من الخبر عن الرعب الذي في قلوبهم ثني عنان الكلام إلى مذمة هؤلاء الأعداء من جراء كونهم أخوف للناس منهم تعالى بأن ذلك من قلة فقه نفوسهم ولو فقهوا لكانوا أخوف منهم للناس فنظروا فيما يخلصهم من عقاب التفريط في النظر في دعوة الرسول A هذه المسلمين من رهبتهم فكانت والآخرة الدنيا في به كفرهم عواقب من فنجوا صدقه فعلموا الرهبة مصيبة عليهم وفائدة للمسلمين .

فالجملة معترضة بين البيان ومبينه .

والإشارة بذلك إلى المذكور من قوله (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من ا) واجتلاب اسم الإشارة ليتميز الأمر المحكوم عليه أتم تمييز لغرابته .

والباء للسببية والمجرور خبر عن اسم الإشارة أي سبب ذلك المذكور وهو انتفاء فقاهتهم .

وإقحام لفظ (قوم) لما يؤذن به من أن عدم فقه أنفسهم أمر عرفوا به جميعا وصار من

مقومات قوميتهم لا يخلو عنه أحد منهم وقد تقدم بيان ذلك عند قوله تعالى : (إن في اختلاف الليل والنهار) إلى قوله (لآيات لقوم يعقلون) في سورة البقرة .

والفقه : فهم المعاني الخفية وقد تقدم عند قوله تعالى (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) في سورة النساء وقوله (انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) في سورة الأنعام ذلك أنهم تبعوا دواعي الخوف المشاهد وذهلوا عن الخوف المغيب غن أبصارهم وهو خوف ا فكان ذلك من قلة فهمهم للخفيات .

(لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر) E A هذه الجملة بدل اشتمال من جملة (لأنتم أشد رهبة في صدروهم من ا) لأن شدة الرهبة من المسلمين تشتمل على شدة التحصن لقتالهم إياهم أي لا يقدرون على قتالكم إلا في هاته الاحوال والضمير المرفوع في (يقاتلونكم) عائد إلى (الذين كفروا من أهل الكتاب) .

وقوله (جميعا) يجوز أن يكون بمعنى كلهم كقوله تعالى : (إلى ا مرجعكم جميعا) فيكون للشمول أي كلهم لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون إلا في قرى محصنة الخ .

ويجوز أن يكون بمعنى مجتمعين أي لا يقاتلونكم جيوشا كشأن جيوش المتحالفين فإن ذلك قتال من لا يقبعون في قراهم فيكون النفي منصبا إلى هذا القيد أي لا يجتمعون على قتالكم اجتماع الجيوش أي لا يهاجمونكم ولكن يقاتلون قتال دفاع في قراهم